الضخمة التى تتكون من هرمين شاخين ناقصين متقاربين ، يتوسطهما باب المعبد الصغير ، وعلى جانبيه تمثالان عظيمان (يصل طول كل منهما الى عشرين مترا كما فى معبد « أبى سمبل » شمال الشلال الثانى) ، وهذان التمثالان يمثلان فرعون ، ويرى الواقف بباب المعبد عدة أبواب متتالية ومتساوية الاتساع ، تقع جميعها على محور واحد عمودى على الواجهة غالباً ، وقد تصل المسافة بين المدخل والباب الأخير الى ثلثمائة متر ، وهذا الباب الأخير هو باب مخدع الآله الأعظم .

وأول ما يلفت نظر الداخل فى المعبد هو البهو الكبير ذو الاعمدة الضخمة ، وقد بلغت مساحة ذلك البهو الفخم فى معابد الكرنك ثلثمائة متر فى خمسين مترا ، وهذا البهو مسقف بكتل عظيمة من الأحجار يحملها أربعة وثلاثون ومائة عمود ، مصطفة فى ستة عشر صفاً ، وطول أعمدة الوسط منها ثلاثة وعشرون متراً وقطرها ثلاثة أمتار ونصف . فتصور بهواً يحوى هذا العدد من هذه الأعمدة التى بلغ ارتفاع الواحد منها ارتفاع عمارة مكونة من سبع طبقات تقريبا . كيف يكون تأثير مثل هذا البهو الرهيب الفخم فى نفوس المصلين ؟ ألا يمكننا اعتبار هذا البهو رمزاً للقوة والبطش كما أنه مثال العزلة والرهبنة ؟ إن طول قامة البشر فى هذا البهو لا يتجاوز قاعدة العمود . وبين تلك الأعمدة يقوم الشعب بتأدية الصلاة ؛ أما فرعون وحاشيته فيستمرون فى موكبهم مخترقين الردهات والدهاليز حتى يصلوا الى مخدع المعبود ، وهو مظلم لا يصله الضوء إلا من فتحة واحدة فى السقف ، قد وضعت بهندسة خاصة بحيث لا تضىء من المكان سوى تمثال الاله ، حتى يخيل للرائى أنه يشع الضوء من جسمه . وأمام المعبود وتحت قدميه يوجد نضد عظيم من الحجر ليضع عليه فرعون قربانه بين التراتيل والتعاويذ الدينية ذات الأنغام الساحرة الرهيبة .

ولو كانت لى موهبة فى الايضاح أرقى من ذلك لاستطعت أن أضع لكم صورة أقرب للحقيقة للمعبد والدرجة التى وصل اليها من الابداع ، ولكن عظمة ذلك الفن وروعته فوق أن يصفها قلمى الضعيف .

وهنا أقف بسيدى القارئ لأسأله : هل يوجد مكان أنسب لبناء المعبد من المكان الذى اختاره الفنان المصرى ؟ هل يوجد بناء تتمثل فيه معانى القوة والخشوع والرهبة أصلح للعبادة من تصميم هذا الهيكل الفرعونى ؟ وهل يمكن إيجاد بيئة تحيط بالمعبد من الوجهة المعنوية والفنية أقرب للكمال من تلك البيئة التى هيأها هذا الفنان الحاذق ؟ أظن أنه لا يمكن أن نجيب على تلك الأسئلة إلا بالنفى . ولقد أجمع عظماء الفنانين فى العالم على أن المعبد المصرى هو صاحب المنزلة الأولى بين معابد العالم ، واذا أمكن تصور منزلة أسمى من الأولى لكانت هى منزلة معبدنا ، وبالتالى فن عمارتنا الذى نفر ونهرب منه ، ونتناسى منزلته حتى فى هذا العصر الذى هو عصر تجديد وانقلاب ، لم يفكر أحد من كبار الفنانين المصريين فى إحياء هذا الفن الجميل ، أو ادخال روحه فى المنشآت الحديثة ، الا اذا استثنينا بعض الشواذ .

محمد علوى

قسم العمارة — مدرسة الفنون الجميلة العليا

١٠ ـ بين المعرى ودانتى

فى رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

بقلم محمود احمد النشوى

تحدثنا معك فى المقال الماضى عن ابن القارح ، وتوسله بالسيدة فاطمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان من أمر هذا التوسل والأذن له بدخول الجنة

والآن ماذا صنع ابن القارح ؟ انه تعلق بركاب سيدنا ابراهيم عليه السلام حتى بلغ الصراط ، وأشير اليه بأن اعْبُرْهُ ، فلما وجد نفسه لا يستمسك قالت الزهراء لجارية من جواريها يا فلانة أجيزيه . فجعلت هذه تمارسه وهو يتساقط عن يمين وشمال ، فقال لها : يا هذه ان أردت سلامتى فاستعملى معى قول القائل :

ست إن أعياك أمرى فاحملينى زقفونه

فقالت : وما زقفونه ؟ !

فقال أن يطرح الانسان يديه على كتف الآخر ويمسك بيديه ويحمله وبطنه الى ظهره ، أما سمعت بقول الجلجلول من أهل (كفر طاب)

صلحت حالتى الى الخلف حتى صرت أمشى الى الورى زقفونه

فقالت : ما سمعت بزقفونه ، ولا الجلجلول ، ولا كفر طاب إلا الساعة ! ! !

ثم تحمله وتمر به كالبرق الخاطف حتى يبلغ الجنة ، فيمنعه رضوان طالباً منه جواز المرور ، فيطلب ابن القارح ورقة من صفصاف الجنة ليرجع بها الى الموقف ، ويأخذ عليها الجواز ، ولكن رضوان يأبى عليه هذا ، فيقول ابن القارح إنا لله وإنا اليه راجعون ، لو أن للأمير أبي المرجى خازناً مثلك ، ما وصلت أنا ولا غيري الى قرقوف[1] من خزانته

ولا يطول بينهما الحوار ، حتى يرجع اليه ابراهيم عليه السلام فيجذبه جذبة شديدة يحصله بها فى الجنة . . . أفرأيت اذاً كيف كان سبيل المعرى الى الفردوس مليئاً بالدعابة وبالمرح حين سقوط صك التوبة من ابن القارح ، وحين تدخله فى فض النزاع بين أبى على الفارسى ومشاجريه ، وفى دعابته مع الجارية ، وهو على الصراط فى أحرج المواقف وأدقها . فهل كان طريق دانتى كطريق المعرى ، كله دعابة وظرف ؟ لا . فقد كان طريق دانتى على العكس من طريق المعرى ، آلام وأوصاب ، وأهوال وعذاب . . . لقد كان طريق دانتى على النار يعبرها أولاً ثم (المطهر) بعدها حتى يصل الى الفردوس . فما ظنك بذلك الطريق الشائك المترع بالأهوال والآلام ؟ !

فبينا هو فى غابة موحشة اذا به يتخلص منها الى أكمة تكلل هامتها شمس الصباح فيهم بصعودها حتى اذا سار قليلاً رأى نمراً قبيحاً يسد عليه شعاب طريقه ، ثم يرى أسداً مخيفاً وذئبة قاحلة حدقته بنظراتها ، فكر راجعاً الى سفح الأكمة فرقاً ورعباً ، فثار فى نفسه اضطرابها حتى أتاه (فرجيل) فاستغاثه فهدأ روعه ، وحدثه بأن سبيل النجاة من هاتيك المخاطر هى رحلة فى أعماق الجحيم ، ومنها الى الأعراف ، ثم الى الفردوس . ثم حدثه بأن بياتريشى أوفدته لانقاذه مما هو فيه من أخطار . فاطمأن قلبه وهدأ روعه وعقد عزيمته على اجتياز الجحيم فاجتازها بين أنين العصاة وعويل المذنبين ، مما حدثتك عن كثير منه فى المناسبات الماضية . حتى اذا انتهت رحلته من جهنم أمسك فرجيل بابليس ، وأمسك دانتى بعنق فرجيل ، وساروا قليلاً حتى خلصوا من الجحيم ، وأسلمت الجحيم دانتى الى الأعراف فدخلها وسار فى جنباتها يتحدث مع العصاة الذين يتطهرون من ذنوبهم ومن آثامهم ، حتى اذا قارب نهايتها رأى نهراً ينفرج عن ماء رقراق ، فبصر بالنهر وبفتاة على سيفه الآخر ، وهى تغرد بصوت مطرب وتقطف الزهرات ، فطرب دانتى واقترب منها فقصت عليه حديث النهر ، وأن اسمه نهر ليتى (lete) نهر التوبة ، من اغتسل منه طهر من ذنوبه ، وبرئ من آثامه ، ثم عاودت الفتاة الغناء ، وعاد له من الفتاة الطرب

ثم تراءت أمام عينيه أضواء تشع فى أرجاء الغابة ، وتواردت على سمعه نغمات حلوة لم يكد يطرب لها حتى تراءت له من بعيد سبعة أجسام كأنها شجرات من خالص الذهب ، تبينها فاذا هى مصابيح تحمل أضواءها كل ألوان الطيف ، ويتلوها أربعة وعشرون شيخاً يجللهم وقارهم ، وتلقى عليهم الهيبة رداءها ، وتكلل رءوسهم زهرات الزنبق وتتبعهم عربة يقودها حيوان يشبه الأسد ، بيد أن له رأساً ، وأن له أجنحة كأجنحة الطيور ورءوسها

تلك العربة كانت تحمل بياتريشى جاءت تستقبله لتكون دليله فى جنبات الفردوس المحرمة على فرجيل أن يلج بابها . وقد افتن شاعر الطليان فى وصف بياتريشى وعربتها ، وما احتف بها من راقصات ، ومن سحائب الزهور افتناناً جعل ذلك الوصف فى طليعة كوميديته ابداعاً وفتنة . وكذلك نرى فى رسالة الغفران وصف الطريق الى الفردوس ، وامتداح رضوان وزفر ، ودعابة الجارية على الصراط ناحية جد مخصبة من خيال أبى العلاء ومن ابداعه

ذلك هو طريق الفردوس ، وها هو ذا وصفه فى الروايتين ، فأما الفردوس وطبقاته وأقسامه وما تخيله المعرى من حيات يسبحن فى الخلد فوق كثبان العنبر . وقد كان منهن فى الدار العاجلة من تسكن فى جحر بدار حمزة بن حبيب امام القراء . ونقمت عليه قراءته واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام (بخفض الأرحام) بعد أن كانت تسكن من قبل فى دار الحسن البصرى . ثم تحولت عنه لأنها رغبت عن بعض حروف فى قراءته حين يقرأ الأنجيل . وفالق الأصباح (بفتح الهمزة فيهما) . فأما الحديث عن تلك الحيات والرد على المعرى فى تخطئته حمزة فموعدنا به العدد القادم ؟

« يتبع »

محمد احمد الغمراوى

(١) القرقوف : الدرع